شواهد الشواهد
نمط عالٍ من الشعر الوجداني
دراسة في ما نظمه الشعراء لينقش على شواهد قبورهم

الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية(*)

(١)

في دواوين بعض الشعراء، وفي كتب التاريخ والتراجم التي ترجمت لهم أو عرضت لشيءٍ من أحوالهم قطعٌ من الشعر: تقل القطعة فتكون بيتاً واحداً أو بيتين، وتطول - على قلة - فتصل إلى خمسة عشر بيتاً، وهي قطع أو نتفٌ وقصائدُ ينظمها أحدهم ويوصي بأن تُكتبَ أو تُنْقشَ على قبره بعد وفاته، وتتردد قبل النص الشعري عبارة: «قال وأوصى بأن يُكتَبَ على قبره»، أو عبارات مشابهة أو مقاربة.

لفتت هذه النصوص انتباهَ بعض المؤرخين فأوردوها في تراجم أولئك الشعراء والناظمين(١)، ولم يزد الاهتمام بها على هذا. وقد لفتت نظري فجمعتُ - على الزمن المتطاول - هذه النصوص التي وقعت لي، أو أمعنتُ في البحث عنها، وهي صالحةٌ لإقامة دراسةٍ طريفةٍ حولها، **فهي ظاهرة أدبيةٌ لنمطٍ راقٍ من**

(*) عضو مراسل في مجمع اللغة العربية بدمشق.
ورد البحث إلى مجلة المجمع بتاريخ ٣٠/ ٥/ ٢٠١٨م.

(١) سأورد في حواشي البحث تراجم قصيرة، فأكثر أسماء شعراء شواهد الشواهد غير متداولة، والمقصود التعريف السريع والإشارة إلى المكان والزمان.

الشعر الوجداني، ومنزعٌ غريبٌ من الكلام المتقن المعروض في قالبٍ فني.

وفي طيّ هذه الظاهرة الأدبيّة عدد من الجوانب التي تظهر للقارئ المطالع: فمن ذلك الجانب الاجتماعي؛ فإن النص خطاب مفتوح للناس من حول الشاعر في زمانه، وهو يبقى بعد زمانه ما دام شاهد قبره قائماً.

ومنه الجانب الوجداني، فالقطعة المنظومة لتُكتبَ على القبر تعبّر عن لحظة فكّر فيها الناظم لها في الموت، لمناسبات مختلفة تفكيراً أدّى به إلى تسجيل ما خطر له في تلك اللحظة، وإن كانت قضية الحياة والموت في بال الإنسان ماثلةً – عادةً – أو قابلة للحضور في كلِّ حين.

ومنه **الجانب الاعتقادي الإيماني**، فإنّ الناظم يعبّر في نصّه القصير عادة عن أمر أو أمور موصولة بالمآل والمعاد، ونفاد سنوات العمر، وما شابه ذلك.

ومنه **الجانبُ النفسي**، فهي نصوص تصدر عن خصوصية الناظم وعن ذاتيته، وجوانب داخلية من تركيبه وسائر أحواله.

إنها نصوصٌ ذات خصوصيةٍ، منظومة من شعراء سجلوا خَطرات لهم أو رؤًى، أو أفكاراً، أو ألواناً من البوح؛ وعرضوها على الناس محفورة على الحجر، لتخلد مع خلود القبر نفسه.

وأضرب مثالاً من قطعة لابن مُغاوِر الشاطبي الأندلسي، فقد قال ابن الأبار في كتاب (التكملة)[٢]: «نقلت من خطّه وأنشدنيه أبو الربيع بن سالم غير مرّة قال: أنشدني (ابن مغاور) لنفسه على باب داره، وأنشدنيه أيضاً أبو عامر بن نذير عنه، وكتب به إليه، **وأمر أن يُخَطّ على قبره:**

---

(٢) التكملة لابن الأبّار: ٥٧٨، والنص في كتاب ابن مغاور المسمّى: نَور الكمائم.
وابن مغاور هو: أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مُغاور السُّلَمي، (من شاطبة بالأندلس) (٥٠٢– ٥٨٧هـ)، أديب كاتب فقيه شاعر، له كتاب: نور الكمائم وسجع الحمائم (ط).
(التكملة لابن الأبار: ٥٧٨ والمغرب ٢: ٣٨٥ والمطرب: ٨٠).

أيّهـــا الواقـــف اعتبـــاراً بقبـــري استمعْ فـيّ قـول عظمـي الـرَّميمِ
أودعوني بطـن الضـريح، وخـافوا مـــن ذنـــوبٍ كلومهـــا بـــأديمي
قلـــت: لا تجزعـــوا علـــيّ فـــإني حسَـــنُ الظـــنّ بـالرؤوف الـرحيمِ
واتركـــوني بمـــا اكتســـبتُ رهينـــاً غَلِقَ الرهنُ[٣] عنـد مـولى كـريمِ»

وشاهد القبر في العادة حجر مهيأ خصّيصى، متطاول يُنصَب على رأس أحجار القبر أو لبناته، وما شابه، وعليه كان يُكتب (يُـنقش) آيـات أو أدعيـة، واسم المتوفى، وسنة وفاتـه. وقـد يضـاف إلـى ذلـك معلومـات أخـرى، أو أبيات من الشعر المناسب تختار من الشعر الشائع، أو ينظمها أحدهم لـذلك المتوفى خاصة. وبعد شيوع التأريخ الشعري بحسـاب الجُمّـل، انتقـل ذلـك إلى شواهد القبور لإثبات تاريخ الوفاة، وفي هذا البحث مثال لذلك في آخـر القطعة التي نظمتْها عائشة التيمورية[٤].

واستعمل المؤرخون عدداً من المفردات والعبارات الدالـة علـى معنـى الشاهد، شاهد القبر، فقد استعمل الصـاحب بـن عبـاد فـي قطعـة لـه فـي ذم الأديب المشهور الخوارزمي، وقد بلغه وفاته[٥]:

فقلت اكتبوا بالجِصّ من فوق قبره: «ألا لعن الرحمن من كَفـر الـنعم»

وكان الرجلان متخاصمين. فذكر «**الجصّ**»، وقالوا في الفِعل: جصّص القبْرَ.

- وأوردوا كلمة: (**الحجَر**)، وفي هذا البحث خبر عـن وهـب بـن مُنبّـه فيه: «أصبْتُ على قبر إبراهيم الخليل مكتوباً خلفه على حجر...».

وقد تُورَد الكلمة بصيغة الجمع، فقد أورد ابـن العـديم فـي ترجمـة ابـن

(٣) غلق الرهن: عجز صاحبه عن فكاكه فصار ملكًا للمرتهن.

(٤) وصارت كتابة قطع من الشعر (يكون في آخرها تـاريخ الوفـاة بحسـاب الجُمّـل) صـنعةً يمارسها بعض الشعراء والشيوخ وغيرهم.

(٥) نزهة الألبّا: ٣٢٦.

منير الطرابلسي، وقال: إن الشاعر نظم بيتين في مَرضِ وفاته، وأوصى أن يكتبا على قبره، «فنقشا على **أحجار** قبره»[٦]، وهما:

من زار قبري فليكنْ موقناً أن الذي ألقاهُ يلقاهُ
فيرحمُ الله امرأً زارني وقال لي: «يرحمك اللهُ»

- وكلمة (**الصندوق**)، وفي وفيات الأعيان[٧]، في خبر لابن خلكان: «... فقرأت على صندوق قبره بعد تاريخ وفاته».

- وكلمة (**اللوح**)، وفي وفيات الأعيان[٨] في ترجمة الزمخشري أنه «أمر أن يُكتَب على لوح قبره»؛ فاللوح هنا الحجر وقد أورد الحميري في (الروض المعطار) كلمة اللوح المذهّب في خبرٍ عادي: «وإذا بلوح من ذهبٍ مكتوب فيه...»، وكان ذلك في مقصورةٍ في قصر من آثار الغابرين.

- **والصفيح**، وقد وردت في شعر لابن حزم له مناسبة في الطوق[٩]:

كذلك مَنْ في اللحد عنك مغيّبٌ وما دونه إلا **الصفيحُ المُنصّبُ**

- **والجَندَل**، ونقرأ في شعر توبة بن الحُميّر:

ولو أنّ ليلى الأخيليّة سلّمت عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلّمتُ تسليم البشاشة... الخ[١٠].

- **والمشهد**: قال النباهي في خبر الحاجب المنصور[١١]: «وعلى مَشْهده مكتوب». وقال المقري في الموقف نفسه: «قال: وأوصى أنْ تُكتَب على قبره».

---

(٦) بغية الطلب في تاريخ حلب ٣: ١١٦٣.
(٧) وفيات الأعيان لابن خلّكان ٧: ٢٠٦.
(٨) وفيات الأعيان ٧: ١٧٣.
(٩) طوق الحمامة في الألفة والألاف (بتحقيق د. عباس):٢١٦.
(١٠) في ترجمته في: الأغاني ١١:٢٠٣.
(١١) المرقبة العليا: ٨٢.

- **والشاهد:** في مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق كتاب: «شواهد القبور: مقبرة باب الصغير...»، وطبع في مصر كتاب: «شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن».

- وأورد المعجم العربي الأساسي كلمة «**النّصُب**» للدلالة على شاهد القبر.

وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال في مرضه الذي مات فيه: «ألحدوني لحداً، وانصُبوا عليّ اللبن نصباً، كما صُنعَ برسول الله ﷺ»(١٢).

- **الرّخامة:** في ترجمة عبد الله بن فلاح المغربي(١٣) أنّه «نظم قطعة وكتبها في رُخامة لتوضع عند رأسه في قبره».

وقد يشار إلى القبر بذكر التراب، والتربة، والرمل وما شابه ذلك مما يدل على المقصود. ومنه قول أبي الطيب(١٤):

بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل وهذا الذي يُضني كذاك الذي يبلي

- وكنى شوقي(١٥) عن حجارة القبر وشاهده وجملته بـ (الجدار)، وهو يرثي يوسف العظمة ويذكر مأثرة جهاده واستشهاده:

سأذكر ما حييت جدار قبرٍ بظاهر جلّقٍ ركبَ الرّمالا

(٢)

كثر هذا النوع من الشعر (ما ينظمه الشعراء ليكتب على قبورهم) في

---

(١٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز: باب في اللحد ونصب اللبن.

(١٣) ترجم له ابن رشيق في: أنموذج الزمان في شعراء القيروان، وقال عنه: إنه كان متصدراً للقرآن الكريم تحقيقاً ودرساً وتفسيراً، وكان مليح الشعر: ١٩٦-١٩٧.

(١٤) ديوان أبي الطيب (عزام): ٢٦٩. والقصيدة في رثاء أبي الهيجاء عبد الله بن علي سيف الدولة الحمداني.

(١٥) ديوان شوقي (الحوفي)١: ٣٦٤ من قصيدة في ذكرى استقلال سورية وذكرى شهدائها، والبيت (من مقطع في القصيدة) تحية ليوسف العظمة وإشادة به، وبجهاده واستشهاده.

التراث الأندلسي، ولكنه شمل المشرق والمغرب، واتصل في الزمان من القرن الثاني إلى العصر الحديث.

والناظمون مختلفو المشارب: فيهم الشاعر الكبير مثل أبي العتاهية وأبي نواس والمعري، وشوقي، وابن خفاجة، وفيهم الفقيه الأديب مثل الزمخشري، وابن مغاور الشاطبي الأندلسي، وفيهم الطبيب الأديب مثل أبي بكر بن زهر الإشبيلي، وفيهم السياسي المشارك مثل الحاجب المنصور: (محمد بن أبي عامر) الأندلسي، وفخري البارودي... وسواهم

والنصوص الباقية مقصورةٌ على النظم، ولكن ابن شهيد كتب نصاً نثرياً قصيراً، وقطعة من الشعر، وصنع مثله ابن الموقع، فجمعا النثر إلى الشعر في الوصية.

وناظمو هذه النصوص من الرجال، غير نصٍ واحدٍ نظمته السيدة عائشة التيمورية. والقِطَعُ والقصائد المنظومة من الشعر العربي المعروف، غير نص واحدٍ لابن الموقّع، فهو من نوع: (الدّو بيت)، وكان شائعاً في زمانه.

وقد وردت أخبار قليلة عن تحقيق رغبة الناظم في وصيته، ويبدو أنها حققت، فإنها لا تشق على أهل المتوفى والقائمين على ترتيب قبره، فابن شهيد لم تُحقَّق رغبته، ولم يُنقَش ما كتبه ونظمه لشاهد قبره ولم يكتب[١٦] أو ينقش. وسجل بعض المؤرخين مشاهداته لبعض ما أوصى بعض الشعراء بنقشه على شواهد قبورهم، ومن ذلك ما ذكره ابن خلكان في ترجمة ابن منير الطرابلسي، قال: «وزرت قبره، ورأيت على قبره مكتوباً[١٧]:

(١٦) في ترجمته في الذخيرة لابن بسّام ١:١٩١.

(١٧) أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي الرفّاء (٤٧٣ - ٥٤٨) كاتب شاعر، قال د. فروخ في تاريخ الأدب العربي (٣: ٢٩٣): شاعر مكثر على شيء من الإجادة مع تكلّف الصنعة، وفي بعض شعره سخف وإقذاع. الخريدة الشام ١: ٢٧-٩٥، وفيات الأعيان ١: ٨٦-٨٩.

من زار قبري..... البيتان».

وفي طبقات ابن المعتز[١٨]: قال صدقة البكري: رأيتُ على قبر أبي الهندي هذه الأبيات (وهي ثلاثة) أولها:

اجعلوا إن مت يوماً كفني ورق الكرم وقبري مَعْصَره!

وهي نمطٌ غريب من الشعر في هذا المقصد.

ونقل ابن الأبار من شواهد الشواهد قطعة في ترجمة العامري النحوي، ثم قال: وللناس في ما يكتبون على القبور كثيرٌ مستجاد، من ذلك قول ابن خفاجة... وقول أبي بكر بن مغاور الشاطبي. وذكر النصين المشار إلى صاحبيهما[١٩].

وقد نجد للشاعر أكثر من قطعة نظمها لتنقش على قبره، فابن الموقع نظم قطعة من الشعر، وأخرى من نوع الدوبيت[٢٠]، وللزمخشري بحسب ما ورد في أخباره قطعتان، الأولى[٢١]:

يامن يرى مدّ البعوض جناحَها في ظلمة الليل البهيم الأَلْيَلِ[٢٢]

ويرى عُروق نياطِها في نحرها والمُخَّ في تلك العظام النُّحَلِ[٢٣]

اغفرْ لعبدٍ تابَ من فَرَطاته ما كان منه في الزمان الأولِ[٢٤]

- وفي طبقات الداوودي[٢٥] أن الزمخشري أوصى أن يُكتب على لوح قبره:

---

(١٨) طبقات الشعراء:١٣٨.

(١٩) تحفة القادم لابن الأبار ٢٥-٢٦.

(٢٠) سيرد النص في موضعه.

(٢١) الكشاف ١: ٢٦٤-٢٦٥، وقد أثبت نسبتها للزمخشري محب الدين أفندي في (تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات) ٤: ١٧٦.

(٢٢) البهيم: المظلم الشديد السواد.

(٢٣) النياط: جمع النوط: عرق غليظ يصل بين القلب والرئتين.

(٢٤) الفرطات: يراد بها الهفوات، وما يصدر عن الإنسان دون روية.

(٢٥) طبقات المفسرين – الداوودي ٢: ٣١٤.

إلهي قد أصبحت ضيفك في الثرى وللضيف حقٌّ عند كلّ كريمِ
فهب لي ذنوبي في قِراي فإنها عظيمٌ، ولا يُقْرى بغير عظيمِ

والشعر عند ابن خلكان، ولم يسمّ صاحبه.

ومن التعليقات النادرة على هذه النصوص ما أورده محب الدين أفندي[٢٦] بعد قطعة الزمخشري التي ذكرها له، وأوصى أن تنقش على قبره قوله: «وكذا يكون حال من تنبه من غفلته و رقاده، وعمل ما ينفعه يوم معاده، وندم على ما ارتكبه في شبابه، وتحسّر على ما فرّط في جنب الله، وخاف أليم عقابه، وكان راجياً عظيم ثوابه، وتذكر قول القائل:

كانت بُلَهْنِيةِ الشّبيبةِ سكرةً فصحوتُ واستأنفْتُ سيرة مُجمِلِ[٢٧]
وقعدت أنتظر الفناء كراكبٍ عرفَ المحلّ فبات دون المنزلِ

وعمل بقول الآخر:

بقيّةُ العُمرِ عندي مالها ثمنٌ وإنْ غدا غير محسوبٍ من الزَّمنِ
يستدرك العمر منها ما أفات ويُحـ ـيي ما أمات ويَمْحو السوء بالحسنِ»

وفي تعليل الكتابة على القبور، في مناسبة الكلام على ما ينظمه الشعراء لينقش على قبورهم، قال موفق الدين بن عثمان[٢٨]: «وكان الأوائل يكتبون على التُّرَب (المقابر) ما فيه موعظة للميت، ومنفعة للأريب»، وأورد ثلاثة أبيات لم ينسبها إلى قائلها، أولها:

---

(٢٦) تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات ٤: ١٧٦.

(٢٧) بلهنية: على وزن فعلنية، يقال: هو في بلهنية من العيش: أي في سعةٍ.

(٢٨) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار:٦٧.

– كتب أحمد أبو زيد في: المجلة العربية (عدد ٣٠/ ٦/ ٢٠١١) مقالةً عامةً في معنى الكتابة على القبور، ونقل مثلما قاله موفق الدين من العظة المستفادة من الشعر الذي يكتبه الناس على القبور.

يـا أيهـا النـاس كـان لـي أمـل قصّـر [بـي] عـن بلوغـه الأجَـلُ

(٣)

ويلحق بشواهد الشـواهد قطـع كثيـرة أنشـدها أصـحابها فـي مناسـبات معينة، قبل الوفاة، وهي مشـابهة للنصـوص التـي صـرح أصـحابها بالوصـية لكتابتها أو نقشها على القبر.

ومن ذلك مـا ورد فـي ترجمـة ابـن ناقيـا البغـدادي[٢٩] صـاحب كتـاب (الجمان في تشبيهات القـرآن)، فقـد رويَ - وسـجّل - أنـه وُجِـد فـي كفّـه مكتوباً حين مات هذان البيتان[٣٠]:

نزلـتُ بجـارٍ لا يخيّـبُ ضـيفَهُ أرجّـي نجـاتي مـن عـذاب جهـنمِ
وإني - على خوفي من الله - واثـقٌ بإنعامـــه، والله أكـــرمُ مُـــنعمِ

وقال أبو بكر مالك بن حِمْير[٣١]:

رحلـت وإننـي مـن غيـر زادٍ ومـا قـدّمتُ شـيئاً للمعـادِ
ولكنـي وثقـت بجـود ربـي وهل يشقى المقلّ مع الجـوادِ؟

- والكتابة على القبور في العصور الإسلامية قديمـة، وفـي كتـب الفقـه كلام على القبور، ورفعها، والكتابة على أحجارها، وله مجال آخر. وإنما لم أذكره بسبب اختلافهم (تعدد آرائهم وأدلتهم) فـي ذلـك، ولـيس مـن مـنهج البحث الغوص فيه.

- ومن الشعر الذي نلقاه في القرن الهجري الأول قطعة لمجنـون ليلـى

(٢٩) أبو القاسم عبد الله بن الحسين ابن ناقيا (٤١٠- ٤٨٥): أديـب شـاعر، كاتـب، مصـنف، وله مقامات، (خريدة القصر - العراق - ١: ١٤٢، وفيات الأعيان ١: ٤٧٥).

(٣٠) وفيات الأعيان ١: ٤٧٦، والبداية والنهاية ١٢: ١٨٨.

(٣١) توفي سنة ٥٦١ (التكملة لابن الأبار الترجمة ١١١٥)، وانظر المقتضب من تحفة القادم ٦٣-٦٤. وهناك نصوص مشابهة لشعراء آخرين.

تدل على الكتابة على القبور، ولعل ذلك يكون من الشعر ومما ينظمه صاحبه خصّيصى، قال[٣٢]:

فلا تعذلوني إنْ هَلكْتُ، ترَحَّموا عليَّ ففقدُ الرُّوح ليسَ يعوقُ
وخطوا على قبري إذا متّ واكتبوا: «قتيل لِحاظٍ ماتَ وهو عشيقُ»
إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى بليلى، ففي قلبي جوًى وحريقُ

فهذا اقتراح شعري فني لكتابة نصٍّ موزنٍ على قبر الشاعر، وهو يؤكد الكتابة على الشواهد، وينبه على إمكان كتابة النص المطلوب أو نقشه على القبر شعراً.

ومن كتابة الشعر على القبور ما ورد في «تهذيب تاريخ دمشق»[٣٣] قال: قال وهب (بن منبه): أصبت على قبر إبراهيم الخليل مكتوباً خلفه في حجر:

ألهى جهولا أملُهْ يموت من جا أجلهْ
ومن دنا من حتفه لم تغن عنه حيلهْ
وكيف يبقى آخرٌ قد مات عنه أولهْ؟
والمرء لا يصحبه في القبر إلا عملهْ

وهو شعر لا نعرف من نظمه، ولكنه كان على أيام وهب بن منبه أو قبله، وهذا يؤكد فكرة كتابة الشعر على القبور من وقت متقدم.

ومن الثابت في النقوش الباقية من العصر الجاهلي (وما قبله) أن العرب كانوا ينقشون على الحجارة والصخور المحيطة بالقبور مثل نقش النّمارة.

وقد عد المؤرخون والآثاريون شواهد القبور الإسلامية وثائق تاريخية، وخصوصاً في الفترات التي شحت فيها المصادر، كما صرحت الدكتورة سعاد

(٣٢) ديون مجنون ليلى: ٢٠٩.
(٣٣) تهذيب تاريخ دمشق ٢: ١٦٠-١٦١.

ماهر في تقديمها لكتاب «شواهد قبور إسلامية من جبّانة صَعدة باليمن»[٣٤].

ونسجل قطعة تدخل في موضوعنا – سبقت الإشارة إليها – لأبي الهِنديّ الشاعر[٣٥]، وهي غريبة جدًّا، قال فيها[٣٦]:

اجعلوا إنْ متُّ يوماً كفَني ورق الكرْم وقبري مَعْصَرهْ
وادفنوني وادفنوا الرّاح معي واجعلوا الأقداح حول المقبرهْ
إنني أرجو من الله غداً بعد شرب الراح حسن المغفرهْ

– وفي البيت الثالث يرجع إلى بعض خصائص هذا النمط من الشعر، وفيه أمل، ورجاء بحسن المغفرة (بعد ارتكاب المعاصي).

(٤)

والشاعر المشارك في نظم هذه النصوص يرفع كلامه إلى المولى سبحانه وتعالى، ويخاطب به الأهل والأصحاب، ويتوجه به إلى سائر الناس في زمانه، وبعد زمانه، ويتوجه أحيانا إلى نفسه في خطاب شخصيّ أو تلوّمٍ ذاتيّ، أو تذكير باليوم الموعود المحتوم.

وأكبر توجه الشعراء في منظوماتهم إلى المولى سبحانه وتعالى: في دعاء وتوبةٍ، وضراعه وطلب مغفرة، قال ابن الجوزي[٣٧]:

---

(٣٤) شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن (المقدمة).

(٣٥) أبو الهندي غالب بن عبد القدوس الرياحي التميمي (توفي ١٣٨هـ) شاعر، مطبوع، فصيح، استفرغ شعره في وصف الخمر، وهو أول من توسع في وصفها في الإسلام، وكان سكيراً خبيث السكر كما ورد في أخباره (الأغاني – الساسي ٢١: ١٧٧–١٨٠)، وفوات الوفيات ٢: ١٥١– ١٥٢.

(٣٦) طبقات الشعراء – ابن المعتز – تحقيق عبد الستار فراج – دار المعارف بمصر: ١٣٨.

(٣٧) عبد الرحمن بن علي (نسبه موصول لأبي بكر الصديق رضي الله عنه)، له تآليف كثيرة في التفسير والفقه والحديث والتواريخ وغير ذلك. بلغت تآليفه مئتي كتاب.
مرآة الزمان ٨: ٤٨٢، وسير أعلام النبلاء ٢١: ٣٧٠ وما بعدها.

يـــا كثيـــرَ العفـــو عَمَـــنْ كَثُـــــر الـــــذّنبُ لديـــــهِ
جاءك المذنب يرجـو الصّـــ ـــــفحَ عـــن جُـــرْمِ يديْـــهِ
أنـــا ضـــيفٌ وجـــزاء الضّـــ ـــــيفِ إحســـــانٌ إليـــــهِ

واستفاد من بعض صفات الله تعالى: من صفة (العفوّ) لطلب العفو والمغفرة والصفح.

وفي قطعة أبي الصلت الداني[٣٨] اعترافٌ من الشاعر، وإقرار بقلة (الزاد)[٣٩]:

فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها وزادي قليـلٌ، والـذنوب كثيـرُ؟
فـإن أك مَجزيًّـا بـذنبي فـإنني بشـرّ عقـابِ المـذنبين جـديرُ

والتفت ابن خفاجة[٤٠] إلى أهله وصحبه، وذكّرهم بالأخوة والصحبة، وسألهم بهذه الصّلة أن يقفوا عند قبره بالتحية له، والدعاء[٤١]:

خليليّ هـل مـن وقفـةٍ لتـألّمِ علـى جَـدثي أو نظـرةٍ لتـرحُّمِ؟
خليليّ هـل بعـد الـردى مـن ثنيـةٍ وهل بعد بطـن الأرض دارُ مُخيَّمِ
وإنـا - حَيينـا أو رَديْنـا - لإخـوةٌ فمـن مـرَّ بـي مـن مسـلم فيسَـلّمِ
ومـــاذا عليـــه أن يقـــول محيِّيـــاً ألا عِمْ صباحاً أو يقـول ألا اسْـلمِ

(٣٨) أبو الصلت أمية بن أبي الصلت الداني الأندلسي: طبيب، وفلكي، وأديب، وشاعر، رحل إلى المشرق واستقر هناك له مؤلفات كثيرة، وديوان شعر (٤٦٠-٥٢٩هـ) طبع له (الرسائل المصرية).

تحفة القادم:٩، الوافي بالوفيات ٩: ٤٠٢.

(٣٩) وفيات الأعيان ١:٢٤٣ وتاريخ الأدب العربي (فروخ) ٥: ١٨٣.

(٤٠) أبو اسحق إبراهيم بن خفاجة (٤٥١-٥٣٣) أكبر شعراء الأندلس وأشهر وصاف للطبيعة، كاتب أديب، شاعر، له ديوان مطبوع، وكان لمذهبه الفني أتباع في زمانه وبعد ذلك (المذهب الخفاجي)

الصلة:١٠٠، وبغية الملتمس:٢٠٢، والخريدة (المغرب والأندلس ٢: ١٦٧).

(٤١) أورد القطعة ابن الأبار في معجم شيوخ الصدفي:٦١، ونقلت إلى الديوان:٣٦٣.

وفـاءً لأشـلاءٍ كَـرُمْنَ علـى البِلـى فعـاج عليهـا مـن رفـات وأعظـمِ
يـردّد طَـوْراً آهـة الحُـزْن عنـدها ويـذرف طـوراً دمعـةَ المتـرحّمِ

وتتصل هذه القطعة بشيء من ملامح شخصية ابن خفاجة المرهفة الحس، البالغة التأثر، الودود، وبشيءٍ من خصائص شعره أيضاً.

ويجري مجرى ابن خفاجة أبو البقاء الرندي[٤٢]:

خليليّ بـالود الـذي بيننـا اجعـلا إذا مـتّ قبـري عُرضـةً للتـرحّمِ
عسى مسـلمٌ يـدنو فيـدعو برحمـةٍ فـإنيَ محتـاج لـدعوة مسـلمِ

ومالك بن المرحّل[٤٣]:

ولتقـل عنـد قبـره بلسـان التـذلّلِ:
«يـرحم الله عبـده مالك بن المرحّـلِ»!

وتتوجه فئة من الشعراء إلى عامة الناس، يطلب الشاعر من المار بقبره أن يقف قليلاً ويدعو له، ويرجو له أن يجد في موقفه عند القبور العظة والعبرة، ومنه قول أبي الحسن سلام بن عبد الله الباهلي الإشبيلي[٤٤]، (والقصيدة أطول ما وجدت من نصوص البحث)[٤٥]:

---

(٤٢) أبو البقاء (وأبو الطيب) صالح بن شريف النفزي الرندي: حافظ، محدث، كاتب أديب، شاعر، مؤلف (توفي ٦٨٤هـ)، من كتبه: الوافي في نظم القوافي.
الذيل والتكملة ٤: ١٣٦-١٣٩، ونفح الطيب ٣:٣٤٧، وأزهار الرياض ١: ٤٧، والإحاطة ٣: ٣٧٥-٣٧٦، والنص فيه، وأبو البقاء الرندي: محمد رضوان الداية: ٣٧.

(٤٣) مالك بن عبد الرحمن بن المرحل (٦٠٥-٦٩٩هـ) أديب، شاعر من أهل مالقة، تولى القضاء في عدد من البلدان، وتوفي بفاس (المغرب). الإحاطة ٣: ٣٤٤.

(٤٤) وزر أبوه للمعتمد بن عباد، أديب، كاتب، شاعر، له خطب ومقامات وكتب مصنفة في الآداب والزهد والحكم (لم يصل إلينا منها شيء)، وأثنى عليه ابن عبد الملك المراكشي في ترجمته (بقية الذيل و التكملة: ٤٨-٥٥)، وكان قد أوصى بكتابة هذا الشعر على قبره.

(٤٥) النص عند ابن عبد الملك.

يـا ذا الـذي مـرّ بـي اجتيـازاً سـألتك الله قـف قلـيلا
واسـمع لقـولي ففيـه وعـظٌ يـوقظ مـن نومـه الغفـولا
عشـتُ ثمـانين كـاملاتٍ ناهيـك منهـا مـدى طـويلا
عجبـتُ أنْ أدبـرَتْ سـراعاً ولـم أنـل مـن مُنـايَ سـولا
بـادَرَ رحلـي بهـا ارتحـالي كـأنني عـابرٌ سـبيلا
وهـا أنـا اليـوم رَهـنُ قبـرٍ أصـبح مـن منزلـي بـديلا
منفـرداً لا أرى قريبـاً ولا حميمـاً ولا خلـيلا

فلما انقضت حكاية العمر الذي مر سريعاً، ولم يبلغ فيه على طوله مما تمنى شيئا ذا بال، التفت إلى وصف قدومه على المشهد الحق:

رهـن ذنـوبٍ تقـدمتْ لـي حملـتُ مـن عبئهـا ثقـيلا
فمـا اعتـذاري إذا دعـاني للعرض مُسْتصْـغَراً ذلـيلا؟
وقال لي: ما عملتَ في مـا علمت يا ظالماً جَهولا؟(٤٦)

ويرجع الشاعر إلى المار العابر عند القبر، ويسأله الدعاء له:

يا ويْلتا إنْ عدمتُ رُحْمـى منْ لم يزلْ راحماً وصُولا
فـادْعُ لـي الله يـا وَليّـي فصَـفحهُ لـم يـزلْ جميـلا
واسـتغفر الله لـي عسـاهُ يكـون مـن عثرتـي مُقـيلا
وقـل: عفـا الله عـن سـلامٍ فكم عصـى اللهَ والرسـولا
فـرب داع بظهـر غيـبٍ قابَـلَ مـن ربّـه القَبـولا

وتعددت مقاصد أبي محمد عبد المنعم بن محمد بن الفـرس الغرنـاطي(٤٧)

(٤٦) في البيت إشارة إلى أثر مشهور هو أن العبد يسأل يوم القيامة عن أربع فيها: «وعن علمه ماذا عمل...»، وقد قال أبو إسحق الإلبيري (ديوانه ص: ٢٦):

فـلا تـأمَنْ سـؤال الله عنـه بتوبيخٍ علمت فهـل عملتـا

(٤٧) ابن الفرس من أهل غرناطـة: عـالم أديـب قـاضٍ، تـولى المناصـب (القضـاء والحسـبة والشرطة)، واشتهر بعلوم القرآن. توفي ٥٩٧هـ (الإحاطة ٣: ٥٤١)، والشعر فيه.

في قطعته التي أعدها لتنقش على قبره، في أبياتها الأربعة، وقد توجه بها إلى المار بقبره المسلّم عليه:

عليك سلام الله يا من يسلم ورحمته ما زرتني تترحمُ
أتحسبني وحدي نُقلت إلى هنا ستلحق بي عما قريب فتعلمُ!
ويا [مسرفاً] يمسي لدنياه مؤثراً ويُهمل أخراه ستشقى وتندمُ
فلا تفرحَنْ إلا بتقديم طاعةٍ فذاك الذي يُنجي غداً ويسلّمُ!

فقد جمع ابن الفرس: ردّ التحية على العابر أو القاصد، وتنبّه على حقيقة الموت والحياة، ووعظه لعدم الاستغراق في الدنيا، ودعوته إلى الانتفاع بثواب الطاعات.

وخاطب ابن شُهيد(٤٨) (صاحباً) يجاوره:

يا صاحبي قمْ فقد أطلنا أنحن طول المدى هجودُ
فقال لي لن نقوم منها ما دام من فوقنا الصّعيدُ

ورجع إلى زمان الدنيا متذكراً:

تذكرُ كم ليلة نَعِمْنا في ظلها والزمان عيدُ
وكم سرورٍ همى علينا سحابةً ثرّةً تجودُ
كلٌّ كأنْ لم يكن تقضّى وشؤمه حاضرٌ عتيدُ
حصّله كاتبٌ حفيظٌ وضمّه صادقٌ شهيدُ

وتوقف عند المآل: فبعد هذه الحياة (بما فيها)، وبعد انقضاء الأجل حساب حاضر، وسأل العفو والمغفرة.

---

(٤٨) أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد: أديب كاتب شاعر ناقد تولى الوزارة مدة، من أصحاب ابن حزم وله مؤلفات منها (التوابع والزوابع)، وجُمع شعره في ديوان (ط) توفي سنة ٤٢٦هـ.

الذخيرة لابن بسام ١/ ١: ١٩١، وجذوة المقتبس:١٣٣، وإعتاب الكتّاب:٢٠٣.

يـــا ويلتـــا إن تنكّبَتنـــا رحمةُ مـن بطشُـه شـديدُ
يا رب عفواً وأنت مـولى قصّـر فـي شـكره العبيـدُ

والقطعة مثال للنص المتكامل من وصف الحال (الموت)، وتذكار الماضي الذي فيه تقصير أو ذنوب، والإقرار بما يسجله الملكان، ورجاء للعفو والمغفرة.

وللطِّغْنَرِيّ الغرناطي(٤٩):

يا خليليْ عـرّج علـى قبـري تَجـدْ أُكلـة التّـربِ بـين جَنبـيْ ضـريحِ
خافت الصـوت إن نطقـتُ ولكـنْ أيّ نطــق إن اعتبــرتَ فصــيحِ؟
أبصــرتْ عينــيَ العجائــبَ لمّــا فرّق الموت بين جسمي وروحي!

ومن النصوص التي خاطب فيها الشاعر نفسه ما أنشده عليّ بـن عيسى الفارسي المعروف بالسكّري، قال (وأعد القطعة لتكتب على قبره)(٥٠):

نفْسُ! يا نفس! كم تمادَيْنَ في الغـيّ وتــأتين بالفعــال المعيــبِ!
راقبي الله، واحذري موضـع العَـرْ ض، وخافي يوم الحساب العصيبِ
لا يَغُرنّــك السّــلامة فــي العيــ ـش فـإن السـليم رهـنُ الخطـوبِ
كــلُّ حــيّ فللمنــون ولا يــدْ فـعُ بـأسَ المنـونِ كيـدُ الأريـبِ
واعلمــي أنّ للمنيــة وقتــاً سوف يـأتي عجـلان غيـرَ هَيُـوبِ
وأعــدّي لــذلك اليــومِ زاداً وجوابــاً لله غيــرَ كــذوبِ
إن حب الصِّدّيق في موقف الحشـ ـرِ أمــانٌ للخــائفِ المطلــوبِ

وينحو الشاعر في هذه القطعة نحـو الزهّـاد إذا نظمـوا الشـعر مـن زجـر النفس، ولومها ونُصحها، وضرب الأمثال لقضية الحياة والموت.

(٤٩) محمد بن مالك المرّي الطغْنري الغرناطي، أديب شاعر، مؤلف وله كتاب في الفِلاحة، قال لسان الدين بن الخطيب: كان حيّا سنة ثمانين وأربع مئة. الإحاطة في أخبار غرناطة ٢: ٢٨٤.

(٥٠) أبو الحسن علي بن عيسى الفارسي المعروف بالسكري (٣٥٧-٤١٣هـ) أديب كاتب شاعر، أكثر شعره في مدح الصحابة. تاريخ بغداد ١٢: ١٧، والأنساب للسمعاني ٥: ٢١٤.

وفي مقابل أطول نص في شواهد الشواهد، وقد مر لسلام الباهلي الأندلسي، نجد أقصر نص في الموضوع، وهو لأبي العلاء المعري، فقد قال عارضاً رأيه على قارئ البيت عند قبره، ولكل من يصل إليه الشعر(٥١):

هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحَد

وقد اشتهر البيت لشهرة المعري، ولغرابته، وتمثيله لجانب من جوانب آرائه التي بثها في دواوينه(٥٢).

(٥)

ويرفد هذه النصوص في ذاكرة الشاعر وفي رؤيته الشعرية، وفي المفردات اللغوية، والعبارات، وفي المعاني جملةً، عددٌ من الروافد:

- فأولها **الثقافة العربية الإسلامية**، فقد صبغ الإسلام بصبغته الواضحة ما يخص قضية الوجود، وقضية الحياة والموت، ووجد الشعراء في ما حفظوا وما عرفوا من جوانب الثقافة الإسلامية ما يقدم لهم ما يحتاجون إليه، ومن هنا يستطيع الدارس أن يتنبّه إلى تلك الموارد في قصائد الشعراء ومقطوعاتهم: التي هي موضوع البحث، من الإيمان والتقوى، والطاعة والمعصية، والتقصير والغفلة، وتنبهوا إلى أثر الدعاء منهم ومن زائر قبورهم، وفي الآثار أحاديث عن دعاء الولد لأبويه، ودعاء المسلم لأخيه بظهر الغيب، وعن الشفاعة، إلى غير ذلك من المدارك الإسلامية.

---

(٥١) البيت ذائع في تراجم المعري وأخباره، وللقدماء - والمحدثين - كلام طويل حوله. انظر مثلاً سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨: ٣٦.

(٥٢) ومن الطريف ما علق به أحمد شوقي على بيت المعري، فقد قال:

بيني وبين أبي العلاء قضيةٌ في البِرّ أسترعي لها الحكماءَ
هو قد رأى نُعمى أبيه جنايةً وأرى (الجناية) من أبي نعماءَ

ديوان شوقي - الحوفي ٢: ٢٠٣.

- ومن الروافد **ملامح إنسانية** مما يلاحظه الإنسان منذ آدم عليه السلام، فالموت حق، والبعث حق، والحساب، والجنة والنار حق، فهذا موصول بالفكر الإنساني كما هو مشاهد وملاحظ، وهو أيضاً واضح المعالم في الفكر الإسلامي.

- ومن الروافد **النوازع الشخصية** من الحس المرهف، والإحساس المستمر بمحدودية الحياة، ويصور هذا الجانب في قصيدة رائعة ابن خفاجة يقول فيها، وقد وقف أمام حتمية الموت، ومحدودية أيام العمر(٥٣):

فتعالي يا عينُ نبك عليها من حياةٍ إن كان يُغني بكاها

وبكاؤه على: «عيشة أقبلت يشتهى جناها» كما قال في صدر القصيدة، ولكنّ الأمر محسوم.

- ومن الروافد: **التنبيه المتواصل للإنسان بوفاة من وافاهم الأجل** من صاحب أو جار أو قريب، وكل وفاة هي تذكير للإنسان بذلك اليوم الموعود، وقد قال ابن خفاجة في هذا الملمح أيضاً(٥٤):

وما غَيّض السّلوان دمعي وإنّما نزفتُ دموعي في فراق الأصاحبِ
فحتى متى أبقى ويظعنُ صاحبٌ أودّعُ منه راحلاً غيرَ آيبِ؟
وحتى متى أرعى الكواكب ساهراً فمن طالعِ أخرى الليالي وغاربِ؟

وكان بين أيدي هؤلاء الشعراء، وهم ينظمون قطعهم وقصائدهم، شعار العُبّاد والزهّاد من المشارقة و الأندلسيين، وفي تراثهم شعرٌ كثيرٌ، ومقاصدُ مناسِبة.

والنصوص التي نظمَها الشعراء للكتابة على القبور صادرة عن **بوح ذاتي** وانفعال شخصيّ، ونفسٍ مترقّية واعية، واستسلام مسبق للقضاء والقدر، وتناول لقضية الحياة والموت - وهي قضية الإنسان الكبرى - تناولاً هادئاً.

---

(٥٣) ابن خفاجة - محمد رضوان الداية: ١٤٠-١٤١، ونص القصيدة في الروض المعطار في خبر الأقطار - مادة «شُقْر».

(٥٤) المرجع السابق: ١٢٤-١٢٥، والقصيدة كاملة في ديوانه.

ويلمَح الدارس طاقة كل شاعر في ذلك الموقف، **وتأنّيه أو تسرعه في تفريغ الشحنة العاطفية** التي تضطرم داخله، فقد يكتفي الشاعر بالبيتين والثلاثة، وقد يطيل الكلام (والإطالة هنا نسبية) فتكون القطعة سبعة أبيات أو نحو ذلك، وقد تطول فتزيد على ذلك.

وتبقى القطعة المنقوشة على شاهد القبر صلة وصل بين الشاعر – وقد صار في دار الحق – وبين القارئ الذي جاء قاصداً ليدعو له، وقارئ الشعر، وهو يمرّ مروراً عارضاً، فيستوقفه الكلام، وتلفته المقاصد والمعاني.

ونستأنف بقطعة ابن أرقم النميري الوادي آشي[٥٥]، وفيها:

أتيتُ إلى خالقي خاضعا ومنْ خدُّه في الثرى يخضعُ

وآخرها:

فأخلصْ دعاءك يا زائري لعلّ الإله بهِ يَنفعُ

وفي بعض النصوص إشارة من الشاعر إلى حتمية الموت، وانتهاء الحياة، وإلى أن هذا سنة الله تعالى في خلقه، ولهذا فلا شماتة في ذلك، وفي قطعة ابن الزقاق البلنسي[٥٦]:

أإخوانَنا والموتُ قد حال دوننا وللموت حكمٌ نافذٌ في الخلائقِ
سبقتكمُ للموت والموت ظِنّة وأعلم أنّ الكلّ لا بدّ لاحقي

ويجيء صوت مثل صوت ابن الفرس أعلى من صوت ابن الزقاق، وأكثر مباشرةً:

---

(٥٥) أبو خالد محمد بن أحمد بن أرقم الوادي آشي النميري الأندلسي قاضٍ أديب شاعر مارس الإقراء والتدريس (توفي ٦٩٤هـ).

(٥٦) أبو الحسن علي بن إبراهيم اللخمي (ابن الزقاق) البلنسي، ابن أخت ابن خفاجة من شعراء زمانه توفي (٥٢٩هـ) وهو في نحو الأربعين، له ديوان مطبوع. المغرب ٢:٢٣١، والذيل والتكملة ٥: ٢٦٥–٢٦٨، ونفح الطيب ٣: ١٩٩–٢٠٠. والشعر في الذيل والتكملة.

أتحسبني وحدي نُقلت إلى هنا؟ ستلحقُ بي عمّا قريبٍ فَتَعْلَمُ

ومثل صوت أبي بكر العامري(٥٧):

فقل للذي سرّه مهلكي تأهّب فإنك بي لاحِقُ!

ويجيء في كلام الشاعر في قطعته ما يدخل في معاني النصح والإرشاد، ومنه قول أبي جعفر اللمائي الأندلسي(٥٨):

فيا زائراً قبري أوصّيك جاهداً «عليك بتقوى الله في السر والجهْرِ»

فلا تُحْسنَنْ بالدهر ظنًّا فإنما من الحزْمِ ألا يستنامَ إلى الدّهرِ

ويجد القارئ تقارباً في هذه القطع في الأفكار والمقاصد والكثير من الألفاظ والعبارات؛ لأن مجرى الكلام العامّ واحد. ويلفت النظر ترداد فكرة نزول الشاعر ضيفاً بعد وفاته ينقلون ذلك من مقاصد الحياة المعروفة بين الناس من ضرورة إكرام الضيف والاحتفاء به، وتنويله ما يريد من المطالب. وفي قطعة للزمخشري(٥٩):

إلهيَ قد أصبحتُ ضيفك في الثرى وللضيف حقٌّ عند كل كريمِ

وهبْ لي ذنوبي في قراي فإنها عظيمٌ ولا يقرى بغير عظيمِ

وفي قطعة ابن ناقيا البغدادي، وقد مرّت في البحث، مثل ذلك.

وتبدو فكرة التلوّم النفسي شديدة الوضوح في ما نظمه علي بن عيسى السكري لينقش على قبره.

---

(٥٧) أبو بكر محمد بن إبراهيم القرشي العامري الخطيب النحوي الأندلسي،ترجم له ابن الأبار في تحفة القادم ٢٤-٢٥، قال ابن الأبار: ورسم أن يكتب على قبره (الأبيات).

(٥٨) أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي الأندلسي كاتب، شاعر محسن، اشتغل بالكتابة الديوانية زمانا، توفي سنة (٤٦٥هـ) بمالقة، ونقل إلى حصن الورد، وكان اتخذه مسكناً فدفن هناك. الإحاطة في أخبارغرناطة ١:٢٣٤ - والشعر فيه.

(٥٩) أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري أحد أعلام الفكر العربي الإسلامي المفسر اللغوي الأديب توفي (٥٣٨هـ). وفيات الأعيان ٥: ١٧٣، وطبقات المفسرين ٢: ٣١٤.

نفس يا نفسُ كم تمادَيْنَ في الغـيّ وتـــأتين بالفعـــال المعيـــبِ
راقبـي الله واحـذري موضـع العَـرْ ضِ وخافي يوم الحساب العصيبِ

وفي قطعة الوزير المغربي[٦٠]:

كنـتُ فـي سـفرة الغوايـة والجهـ ـــلِ مقيمـاً فحـانَ منّـي قـدومُ

وفي قطعة أبي الصّلت الداني:

فيا ليت شعري كيف ألقـاهُ عنـدها وزادي قليـلٌ والـذّنوبُ كثيـرُ

- وترددت في هذه الأشعار فكرة حتمية الموت، وانقضاء الحياة. وفي شعر أبي بكر العامري الشلبي الأندلسي:

لـئن نفـذ القـدَرُ السـابق بموتي كما حكـم الخـالقُ
فقـد مـات والـدنا آدمٌ ومـات محمّـدٌ الصّـادقُ
ومات الملوك وأشـياعهمْ ولم يبقَ من جمعهمْ ناطقُ

وهذا معنى قديم تردد في أشعار الشعراء. ومن القدماء الذين نظموا فيه عدي بن زيد العِبادي[٦١]:

أيهـا الشـامت المعيّـرُ بالدهـ ـــر أأنـت المبـرّأ الموفـورُ؟
أم لـديك العهـد القـديم مـن الـ أيـامِ، بـل أنـت جاهـلٌ مغـرورُ!

وفي شعر ابن الزقّاق البلنسي:

أإخواننا والمـوت قـد حـال دوننـا وللموتِ حكمٌ نافذٌ فـي الخلائـقِ

(٦٠) أبو القاسم الحسين بن علي (الشهير بالوزير المغربي): كان أديباً ومترسلاً وشاعراً، وكان مصنفاً أيضاً (٣٧٠-٤١٨هـ). وفيات الأعيان ١: ٢٧٧-٢٨١، ومعجم الأدباء ١٠: ٧٩-٩٠.

(٦١) عدي بن زيد العبادي: كان شاعراً نصرانياً من أهل الحيرة - توفي ٣٥ قبل الهجرة، كان من دهاة الجاهلية، فصيحًا، يحسن العربية والفارسية، هو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى - الأغاني (٢:٩٥-١٤٦)، والشعر فيه.

(٦)

وقد يورد الشاعر في النص الذي ينظمه لينقش على شاهد قبره شيئاً من خصوصيات حياته يخلطها بالمقاصد التي تتردد على الشواهد، كالإشارة إلى الغربة (موت القائل الناظم غريباً)، والإشارة إلى تغيّر أحواله في حياته، ومعاناته (كالأسرِ بعد الحرية)، والإشادة ببعض مزايا نفسه من الجود والوفاء وعلوّ المكانة.

وأشار أبو علي القالي (البغدادي) إلى قبره بعبارة «قبر الغريب»، قال[٦٢]:

صِلوا لحد قبري بالطريق وودّعوا فليس لمن وارى التّرابُ حبيبُ
ولا تدفنوني بالعراءِ فربما بكى إن رأى قبرَ الغريبِ غريبُ

وذكر أبو بكر الكُتُنْدِي غربته في القطعة التي أوصى بنقشها على شاهد قبره[٦٣]:

حيّ قبراً بالبقيع حوى ذا اغترابٍ حطّ أرْحُلَهُ
جدّ في تسياره وجرى طلقاً ما شاء طوّلَهُ
فهو قد ألقى عصاهُ ولم يدّخرْ إلا توكّلَهُ!

وكان الكتندي غرناطي الأصل من إلبيرة، تعلّم في مرسية، وانتقل إلى غرناطة مدة، ثم سكن مالقة، وكانت وفاته في غرناطة. ومن هنا عَدّ الشاعر نفسه غريباً.

(٦٢) أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي (نسبته إلى قالي قلا) البغدادي، من كبار اللغويين والعلماء، نزل الأندلس مرحباً به وصار أمين المكتبة العامة، له مؤلفات ذائعة،ومجالس علمية مدونة، طبع عدد من كتبه، توفي بقرطبة (٣٥٦هـ)، نفح الطيب ٣:٧٢، والشعر فيه.

(٦٣) أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الأسدي، أديب شاعر، من أتباع المذهب الخفاجي. وشعره من الطبقة العالية. جمعتُ شعره (طبع في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق م٨٢، ج٤). توفي سنة ٥٨٣ أو ٥٨٤هـ. برنامج شيوخ الرعيني ١١٦، المغرب ٢: ٢٦٤، الوافي بالوفيات ٣: ٢٣٢.

وذكر المعتمد بن عباد[٦٤] موته غريبا (أسيراً)، وبدأ قطعته التي أوصى بنقشها على قبره بقوله (مبتدئا كابتداء القالي):

قبرَ الغريب سقاكَ الرّائحُ الغادي حقًّا ظفرتَ بأشلاء ابنِ عبّادِ

وذكر من مآثر نفسه بعد ذلك فقال:

بالحلم بالعلم بالنُّعمى إذا اتصلتْ بالخِصْبِ إن أجدبوا بالريّ للصّادي
بالطاعن الضارب الرامي إذا اقتتلوا بالموتِ أحْمرَ، بالضّرغامة العادي
بالدهر في نِقَمٍ في البحر في نِعَمٍ بالبْدر في ظُلَمٍ، بالصَّدرِ في النادي

فهذه أبيات موضعها قصائد الفخر، ولكن الشاعر أفرغ فيها شحنة عاطفية ذاتية قوية، وهو الأسير الكسير مع نفرٍ من أهله، ثم قال على الشائع في هذا النمط من الشعر ممزوجاً بما بدأ به:

نعم هو الحق وافاني به قدرٌ من السماء فوافاني لميعادِ
ولم أكن قبل ذاك النعش أعْلمهُ أنّ الجبال تهادى فوق أعْوادِ

وجعل نفسه أخا الغيث، وعتب على القبر الذي غيَّب أخا الغيث (شبيهه في العطاء والجود):

كفاك فارفق بما استُودعتَ من كرمٍ روّاك كل قطُوبِ البرْقِ رعّادِ
يبكي أخاهُ الذي غَيّبْت وابلَهُ تحت الصفيح بدمعٍ رائحٍ غادِ

وفي قطعة أحمد الكيواني[٦٥]:

---

(٦٤) أبو القاسم محمد بن عباد (المعتمد) (٤٣٢-٤٨٨هـ) أحد أمراء إشبيلية في مدة عصر الطوائف، أديب شاعر فارس، اتفق مع المرابطين ثم اختلف معهم، أخِذَ أسيراً إلى أغمات بالمغرب، وفيها وفاته، له ديوان مجموع مطبوع. وفيات الأعيان ٥: ٢١ وما بعدها، والحلية السيراء ٢: ٥٢-٦٨، والوافي بالوفيات ٣: ١٨٣-١٨٨.

(٦٥) أحمد الكيواني الدمشقي: أديب كاتب شاعر مصنّف، كان في طليعة المجددين في الشعر في القرن الثامن عشر، وله ديوان مطبوع - انظر بحثًا عنه في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - محمد رضوان الداية، م٨٧، ج٤.

إذا متّ فادفنّي بعيشك صاحبي مع الغُرَبا واكتب على شَدّتي سطرا
ألا رحم الرحمن حرًّا قضى أسى ولم يسْلُ عن إلفٍ ولم يرتكب غدرا

وذكر صفة الحر في هؤلاء الشعراء فخري البارودي(٦٦)، قال في قطعته(٦٧):

قفوا أيّها الزوار قبري(٦٨) هنيهةً وقولوا سلاماً أيها الميتُ الحُرُّ
وطوفوا حيال القبْرِ صحبي وفكّروا بموتٍ أكيدٍ ثمّ يتبعُه الحشرُ
تروا أن كأس الموت حق على الورى وكلٌّ له يومٌ وإن ألّف العمرُ(٦٩)

ونظم محمود الموقع(٧٠) قطعة شعرية لتنقش على قبره، مع قطعة نثرية تسبقها في المعنى نفسه، والمقصد في القطعتين واحد، وقد قال في آخر القطعة (وهي في ستة أبيات)(٧١):

ويا حبذا ظني جميلٌ بربنا وحاشا يجازيني بحال منكّدِ
فكيف أخاف النار والله راحِمٌ وأرجو لتقصيري شفاعة (أحمدِ)

ثم قال في موضع آخر من الديوان بعد أن أشار إلى القطعة السابقة: «والآن عنّ لي أن أضمّ لها خمسة أبيات أخر لكن من غير البحر المذكور (الطويل) بل هي من الدو بيت، وأجزاؤه: فعُولن مُتفاعلن فعولن فَعِلن، وهي(٧٢):

(٦٦) فخري البارودي: (١٨٨٧-١٩٦٦م): سياسي عسكري صحافي، شاعر، عربي سوري، كان مجاهداً ضد الاستعمار الفرنسي، وكان نائبًا في المجلس النيابي السوري، صاحب قصيدة: بلاد العرب أوطاني.

(٦٧) الشعر في كتاب آفاق و مذكرات البارودي- دعد الحكيم مديرة مركز الوثائق التاريخية.

(٦٨) يريد قفوا على قبري.

(٦٩) أي: وإن عاش المرء ألف سنة.

(٧٠) محمود بن عبد المحسن الموقع، الدمشقي الحسيني القادري الأشعري (١٨٤٠-١٩٠٤م)، له ديوان مطبوع.

(٧١) ديوانه: ٤٨-٤٩.

(٧٢) ديوانه: ٩٧.

محمـــود موقّـــعٌ غـــدا مُرْتهنـــاً فـــي قبـــره مـــن جـــرائم ذات عَنَـــا
وافـــاه بعقـــره بـــلا زادِ تقًـــى لا يملـــك فـــي ثـــراه إلا الكفنـــا
أضـــحى بجميلـــه ذا فـــرَجٍ والظـــن بربنـــا يُزيـــلُ الحزَنـــا
فـــانظر لمقصّـــرٍ رجـــا عفـــوكمُ بالهـــادي محمـــد وهـــو شـــافِعُنا
يـــا مـــن وســـعتْ عبـــادَه رحمتُـــه مـــن بعـــض عبـــادك المســـلمين أنـــا

(٧)

وقد تظهر ملامح الفن البديعي على قلةٍ ومنه قول أبي الإخلاص محمد ابن أحمد القرشي الإسكندري المعروف بابن التنسيّ[٧٣]:

إلـه الخلـق قـد عظمـت ذنـوبي فسـامحْ مـا لعفـوك مـن مشـاركْ
أغـــث يـــا ســـيدي عبـــداً فقيـــراً أنـــاخ ببابـــك العـــالي ودارِكْ!

وفي (دارك) تورية بين الـدار (المنـزل) والمداركـة. وفـي قولـه (دارك) فعلٌ يقصد منه الرجاء.

وقول شمس الدين بن المزين[٧٤](*):

بقارعـــة الطريـــق جعلـــت قبـــري لأحظـــى بـــالترحّم مـــن صـــديقِ
فيـــا مـــولى المـــوالي أنـــت أولـــى برحمة مـن يمـوت علـى الطريـقِ

وفي الشعر تورية: فالطريق: هو المكان الذي يمر فيه النـاسُ، والطريـق أيضاً: طريق الاستقامة والتقوى ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ...﴾ [الجن: ١٦].

وسنجد التورية أيضاً في البيت الأول من قطعة عائشة التيمورية (التالية).

---

(٧٣) الضوء اللامع ٧: ٩٠-٩١.

(٧٤) خزانة الأدب للحموي: ٣٣٦.

(*) وذكر ابن حجر العسقلاني في (إنباء الغمر ١/ ٤٤٤) أن علاء الـدين الموقـع، علـي بـن عبد الله البيري (ت٧٩٤هـ) أوصى أن يُكتـب هـذان البيتـان علـى قبـره. وشـمس الـدين محمد بن إبراهيم بن بركة الدمشقي المزين كانت وفاته سنة ٨١١هـ. = [المجلة]

واعتمدت عائشة التيمورية على حساب الجمّل لتأريخ وفاتها، وتركت لذلك آخر شطر من القطعة التي نظمتها لتكتب على قبرها. قال أخوها أحمد تيمور باشا في ترجمة محمد أكمل، وكان من أصدقائه: «لما مرضت شقيقتي السيدة عائشة التيمورية، وأحسّت بدنو الأجل، نظمت في مرضها أبياتاً لتكتب على قبرها، وتركت مصراع التاريخ (الشطر الثاني) لمن ينظمه بعدها، وهي:

قد كنتُ عائشةً فنوديتُ ارْجِعي ... للقبر مأوى كُلِّ حيٍّ فانِ
فأتيت صِفْرَ الكفّ عن مَرْضاته ... ومقرّة بالعجز والعصيانِ
جُرّدْتُ من ثوب الهدى لكنّ لي ... تاجاً من الإسلام، والإيمانِ
ونزلته مستشفعاً بمحمدٍ ... وتوسُّلي عفواً من الرحمنِ
أصبحتُ ممن زار قبري راجياً ... خير الدعا، وتلاوة القرآنِ
لكم البقا إخوانَ ديني أرِّخوا: .....

قال أحمد باشا تيمور: فنظم المترجَم (محمد أكمل) التاريخ بقوله:

.... قبرٌ لعائشةٍ سما بجنانِ

وتاريخ الوفاة هو سنة ١٣٢٠هـ بحساب الجمّل».

(٨)

أ- جرى الشعراء، في النصوص التي جمعتها في موضوع شواهد الشواهد، على نظم تلك النتف والقطع والقصائد نظماً قاصداً مخصوصاً بتلك المناسبة. لكن الشاعر قد يختار من شعر نظمه لمناسبة من المناسبات أبياتاً لتنقش على شاهد قبره، كالذي صنعه أحمد شوقي. فإنه - كما روى ابنه حسين شوقي[٧٥] - اختار بيتين من قصيدته النبوية التي عارض بها البوصيري، وعُرفت بنهج البردة، مدح فيها رسول الله ﷺ وهما:

(٧٥) أبي شوقي - حسين شوقي - مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧ - ١٦٦.

يا أحمد الخير لي جاهٌ بتسميتي وكيف لا يتسامى بالنبيّ سَمي؟
إن جلّ ذنبي عن الغفران لي أملٌ في الله يجعلني في خَير مُعتَصَمِ

فقد أضاف شوقي باختياره هذين البيتين التوسّل بالنبي ﷺ، والأمل القوي بمغفرة الله سبحانه وتعالى.

ب- وقد يَحْفز نصّ نظَمه أحد الشعراء ليكتب على قبره شاعراً آخر ليعارضه، ومن ذلك ما صنعه شاعرٌ لم يُسمّه ابن عبد الملك(٧٦)؛ وكان سلام الباهلي قد نظم قصيدةً لهذا الغرض، قال في أوّلها:

يا ذا الذي مَرّ بي اجتيازاً سألتك الله قفْ قليلا

فقال صديقه، معارضاً، راثياً له، كأنه استجاب له:

سلامُ ربي على سلامٍ ما عاقبَتْ بكرةٌ أصيلا
تحية لا تزال تسقي صوب الحيا قبره المُحيلا!

ج- وقد نجد النص الذي كتب على القبر، **وأسلوبه يدل** على أن صاحب الشعر هو صاحب القبر، لكن الرجل مجهول، نسيه التاريخ، ومن ذلك ما رواه ابن خلكان(٧٧) قال: أخبرني بعض الأصحاب أنه رأى بجزيرة «سواكن» تربة ملكها عزيز الدولة ريحان، وعلى قبره مكتوب:

يا أيها الناسُ كان لي أملٌ قصّر بي عن بلوغه الأجلُ
فليتق الله رَبّهُ رجلٌ أمكنه قبل موته العملُ
ما أنا وحْدي نُقِلتُ حيث ترى كلّ إلى ما نُقلتُ ينتقلُ

ومن النصوص النموذجية(٧٨) قصيدة قصيرة نظمها ولد على لسان

(٧٦) الذيل والتكملة - تتمة السفر الثامن: ٤٨-٥٥.
(٧٧) وفيات الأعيان لابن خلكان: ٥/ ١٧٣، وانظر ترجمة لسواكن في الروض المعطار: ٣٣٢.
(٧٨) الإحاطة في أخبار غرناطة ٤: ٢٥٠.

والده، والمُتوفّى هو يوسف بن رضوان النجّاري أحد أعلام غرناطة في القرن الثامن، فقد كتب ولده على شاهد قبره (من نظم الابن):

إلهي خدّي في التراب تذللا بسطتُ عسى رحماك يحيا بها الروحُ
وجاورتُ أجداث الممالك خاضعاً وقلبيَ مصدوعٌ ودمعي مسفوحُ
ووجهت وجهي نحو جودك ضارعاً لعل الرضى من جنب حلمك ممنوحُ
أتيت فقيراً والذنوب تؤدّني وفي القلب من خوف الجرائم تبريحُ
ولم أعْتمدْ إلا الرّجاءَ وسيلةً وإخلاصُ إيماني به الصدر مشروحُ
وأنت غنيٌّ عن عذابي وعالمٌ بفقري وباب العفو عندك مفتوحُ
فهبْ ليَ عفواً من لدُنك ورحمةً يكون بها من ربقة الذنب تسْريحُ
وصلّ على المختار ما همعَ الحيا وما طلعت شمسٌ وما هبت الريحُ

وأبرز ما تدور حوله الأبيات: الضراعة إلى الله تعالى والتذلل عند أبواب رحمته، وطلب العفو والمغفرة.

(٩)

ومن الملاحظات على **شواهد الشواهد** أنّ جماعة (المذهب الخفاجي) في الأندلس جارَوا شيخهم ابن خفاجة، فنظموا مثله، وبعضهم جرى على نمطه، وأوصَوا بكتابة ما نظموه على قبورهم، وفيهم ابن أخته: ابن الزقاق البلنسي، وأبو المطرف بن عميرة المخزومي، وأبو بكر الكتندي، ومالك بن المرحّل، وأبو البقاء الرندي، وغيرهم من أهل زمانه، أو ممن جاراه، واتبع طريقته في الأعصر التالية.

وقد قال ابن خفاجة في مطلع قطعته:

خليليّ هل من وقفةٍ لتألّمِ على جدثي أو نظرة لترحُّمِ

وقال ابن الزقاق:

أإخواننا والموت قد حال دوننا وللموت حكمٌ نافذٌ في الخلائقِ

وقال أبو بكر الكتندي:

حيّ قبراً بالبقيع حوى ذا اغتراب حطّ أرحُلَهُ

وقال ابن مغاور الشاطبي:

أيها الواقف اعتبارا بقبري استمع فيَّ قول عظمي الرَّميمِ

وقال أبو البقاء الرندي:

خليليّ بالودّ الذي بيننا اجعلا إذا متُّ قبري عرضةً للترحُّمِ

وظاهر التقارب في مقاصد الكلام بين هذه النصوص، واستئناس أتباع المذهب الخفاجي بما بدأ به ابن خفاجة، وبقي لكل واحدٍ منهم أسلوبه.

وتتجمهر مفرداتٌ كثيرة في هذه النصوص لتشكل معجماً صغيراً يتداول مفرداتِه الشعراءُ، كلّ على طريقته، وتشيع أفكار ومعان ومقاصد ورؤى في نصوص شواهد الشواهد: تدور حولها تلك النصوص مع احتفاظ كل شاعر بأسلوبه في العرض والتناول، وتحقيق الغرض وتفريغ العاطفة واستيفاء المقصود.

وفي معجم ألفاظ شواهد الشواهد:

- مفردات الاعتراف بالتقصير، والانسياق مع مشاغل الدنيا، والغفلة عن الآخرة.

- ومفردات الإنابة والعودة إلى الحق، والضراعة، وطلب المغفرة، كقول ابن شهيد:

يا رب عفواً فأنت مولًى قصّر في شكره العبيدُ

- ومفردات الأمل والرجاء، والتفاؤل بالعفو والمغفرة والظفر بالجنة، والنجاة من النار.

- ومفردات التقرب إلى الله تعالى برسول الله صلى الله عليه وسلم، وارتقاب الشفاعة، كقول شوقي:

يا أحمدَ الخير لي جاهٌ بتسميتي وكيف لا يتسامى بالرسول سَمِي؟

- ومفردات النصح والإرشاد، والاعتبار، عسى أن يستدرك قارئ الشعر على الشواهد أمر نفسه، ويأخذ مما يرى العظة والعبرة كقول ابن مغاور الشاطبي:

أيها الواقف اعتباراً بقبري استمعْ فيّ قول عظمي الرميمِ

وقول أبي بكر الكتندري:

حيّ قبراً بالبقيع حوى ذا اغترابٍ حطّ أرْحُلَهُ

- ومفردات ما يسمى به القبر وما حوله كالجدثِ والضريح، والمثوى، والحجارة، والترْب، والتراب، والرمل، واللحد. وفي شعر أبي نواس:

وعظتك أجداثٌ ونَعَتْك أزمنةٌ عُفتْ

- ومفردات الشماتة وردّ الشماتة كقول ابن منير الطرابلسي:

من زار قبري فليكن موقناً أن الذي ألقاه يلقاهُ

وقول أبي عامر الشلبي في آخر قطعته:

فقل للذي سرّه مصرعي تأهّبْ فإنك بي لاحقُ!

- ومفردات التلوّم الذاتي، كقول أبي خالد الوادي آشي:

وإن كنتُ وافيته مجرماً فإنيَ في عطفه أطمعُ

وقول عائشة التيمورية:

فأتيت صفر الكفّ عن مَرْضاتِه ومقرّةً بالعجز والعِصيانِ

خاتمة:

أشعار شواهد الشواهد نمطٌ خاصّ من الشعر، له أسبابه ودوافعه وله

مزاياه وخصائصه، وهو بوحٌ ذاتيّ شخصيّ في موضوع الحياة والموت، يُنقش في لوح يُعرَضُ على الناس ما دام الحدث قائماً. وعلى اختلاف طبيعة النصوص ثمة ملامح عامة غالبة تشمل هذه النصوص، وهي صادرة عن الحسّ المرهف، والذائقة الشعرية العالية، و الانفعال العاطفي بالموقف.

وهي تعبر عن ذوات أصحابها في المقاصد الواردة فيها وفي أسلوبها وصياغتها. وهي مصقولة الأسلوب متقنة الصياغة، تصدر عن الناظمين: سلسةً، سهلةً، متدفقةً موجزةً (إلا ما سبقت الإشارة إليه من شعر سلام الباهلي والمعتمد بن عباد) مؤدية الغرض الذي قصد إليه الشاعر، وتظهر العاطفة قوية غامرة.

ومن هذه المطابقة بين موقف الشاعر، وحاله، وهو ينظم الشعر، وبين النص الذي صدر عنه – ما رواه أبو جعفر الصائغ قال: «لما احتُضِر أبو نواس قال: اكتبوا هذه الأبيات على قبري»[٧٩]:

وعظتكَ أجداثٌ صُمُتْ ونَعتْك أزمنة عُفُتْ
وتكلّمتْ عن أوجهٍ تبكي وعن صُوَرٍ سُبتْ
وأرتك قبرك في القبو رِ وأنت حيٌّ لم تَمُتْ!

وهذه القطعة مع قطع أخرى لأبي نواس تصوّر حاله في المدّة الأخيرة من حياته، وتعبّر عنها.

ثم أقول: إن هذه القصائد والقطع من أشعار (الشواهد) نمط خاص من الشعر تغلب عليه الرقة وجيشان العاطفة، وتشكل ملمحاً أدبياً خاصاً، وهي موصولة المعاني والأفكار والألفاظ والأساليب بعناصر متشابكة من الفكر الإسلامي وفلسفة الحياة والموت، والالتفات إلى آخر موقع للإنسان بعد نهاية

(٧٩) نزهة الألباء: ٣٩.

الحياة، وفي رغبة الشعراء في أن تسجل على شواهدهم قطع من أشعارهم في ما يكتبون وينظمون توجّه إلى الغفور الرحيم، وخطاب من الشاعر إلى أهله وصحبه، وإلى كل من يمرّ على الضريح فيدعو، ويعتبر، وإلى نفسه، وعن نفسه أيضاً، بين رحمةٍ يطلبها ورثاءٍ يرثي به نفسه، وضراعةٍ وإنابةٍ، إلى غير ذلك من البوح والدعاء والرجاء، وهو نمط عالٍ من الشعر الوجدانيّ!

* * *

المصادر والمراجع

- ابن خفاجة – محمد رضوان الداية – دار قتيبة – الطبعة الثانية – دمشق.
- أنموذج الزمان في شعر القيروان – ابن رشيق القيرواني– جمعه وحققه العروسي المطوي وبشير البكوش – الدار التونسية للنشر – ١٩٨٦.
- أبو البقاء الرندي – محمد رضوان الداية – دار سعد الدين – دمشق – الطبعة الأولى.
- اختصار القدح المعلى لابن سعيد الأندلسي – تحقيق إبراهيم الإبياري – القاهرة – ١٩٥٩.
- أدباء مالقة لأبي بكر بن خميس المالقي – تحقيق د. صلاح جرار – مؤسسة الرسالة – بيروت.
- إنباه الغمر بأبناء العمر – ابن حجر العسقلاني – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة – الطبعة الأولى.
- الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني – دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى.

- البصائر والذخائر – أبو حيان التوحيدي – تحقيق إبراهيم الكيلاني – مكتبة أطلس – دمشق – الطبعة الأولى.
- بغية الطلب في تاريخ حلب – ابن العديم – تحقيق سهيل زكار – دمشق – ١٩٨٨ – الطبعة الأولى.
- بدع القبور: أنواعها وأحكامها لصالح بن مقبل العصيمي النعيمي – دار الفضيلة – الرياض – ٢٠٠٥.
- برنامج شيوخ الرُّعيني – تحقيق إبراهيم شبّوح – وزارة الثقافة – دمشق ١٩٦٢.
- تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي – (طبعة مصورة عن الطبعة المصرية).
- التكملة لابن الأبار – نشر عزة العطار الحسيني – القاهرة ج١.
- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات – محيي الدين أفندي – صححه نصر الهوريني – المطبعة الكبرى – مصر – ١٢٨١هـ.
- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر – عبد القادر بدران – دمشق – ١٣٢٩هـ.
- الجامع لأحكام القرآن – القرطبي – دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الأولى.
- جذوة المقتبس – الحميدي – تحقيق محمود بن تاويت الطنجي – القاهرة – ١٩٥٢م.
- خريدة القصر وجريدة العصر – شعراء الشام – العماد الأصفهاني – تحقيق د. شكري فيصل – مجمع اللغة العربية – دمشق.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة – ابن حجر العسقلاني – المكتبة الحديثة بمصر – ١٩٦٧م.
- ديوان أحمد شوقي – تحقيق د. أحمد الحوفي – دار نهضة مصر – القاهرة – الطبعة الأولى.

- ديوان أحمد الكيواني - دمشق - المطبعة الحفنية - ١٣٠١هـ.
- ديوان أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي - جمع محمد المرزوقي - تونس - ١٩٧٤م.
- ديوان جمال الدين بن مطروح (مع ديوان عباس بن الأحنف) - القسطنطينية - مطبعة الجوائب - ١٢٩٨هـ.
- ديوان ابن خفاجة - تحقيق سيد مصطفى غازي - منشأة الإسكندرية - مصر - ١٩٦٠م.
- ديوان ابن الزقاق البلنسي - تحقيق عفيفة ديراني - دار الثقافة بيروت - الطبعة الأولى.
- ديوان أبي الطيب المتنبي - تحقيق عبد الوهاب عزام - القاهرة - ١٩٤٤م.
- ديوان أبي العتاهية - تحقيق د. شكري فيصل - دار الملاح - دمشق - الطبعة الأولى.
- ديوان مجنون ليلى (قيس بن الملوح) - عبد الستار فراج - القاهرة - الطبعة الأولى.
- ديوان محمود الموقع - مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الأولى.
- ديوان ابن منير الطرابلسي - ابن منير الطرابلسي - جمعه د. عمر عبد السلام تدمري - دار الجيل - بيروت - ١٩٨٦م.
- ديوان أبي النواس - دار صادر بيروت - ١٩٩٨م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - ابن بسام الشنتريني - تحقيق د. إحسان عباس - الدار العربية للكتاب - ١٩٧٥-١٩٧٨م.
- الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي - تحقيق د. إحسان عباس - بيروت - الطبعة الأولى.

- الروض المعطار في خبر الأقطار – الحميدي – تحقيق د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت.
- سير أعلام النبلاء – الذهبي – مجموعة من المحققين بإشراف أ. شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة – دمشق – الطبعة الأولى.
- شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن – تأليف مصطفى عبد الله شيحة – تقديم د. سعاد ماهر – نشر مدبولي – القاهرة – ١٩٨٨م – ١٤٠٨هـ.
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع – السخاوي (طبعة مصورة).
- طبقات الشعراء – ابن المعتز – تحقيق عبد الستار فراج – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثامنة.
- طوق الحمامة في الألفة والألاف – ابن حزم الأندلسي – تحقيق د. إحسان عباس.
- فوات الوفيات – ابن شاكر الكتبي – تحقيق د. إحسان عباس – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى.
- الكامل في التاريخ – ابن الأثير – دار صادر – بيروت.
- كتاب شواهد القبور – مقبرة باب الصغير – مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية.
- المثالث والمثاني – حليم دموس – الجزء الأول – ١٩٢٦م، والجزء الثاني ١٩٣٠م – مطبعة الوفاء – صيدا.
- المرقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا – القاضي النُّباهي – تحقيق ليفي بروفنسال – القاهرة – ١٩٤٨م الطبعة الأولى.
- مرآة الزمان – سبط ابن الجوزي – حيدر آباد الدكن: ١٩٥١–١٩٥٢م.
- مرج الكُحل الأندلسي – سيرته وشعره – تحقيق د. صلاح جرار – دار البشير – عمان ١٩٩٣م – الطبعة الأولى.

- المطرب في أخبار المغرب - ابن دحية الكلبي - تحقيق إبراهيم الإبياري - القاهرة ١٩٥٦م.
- معجم الأدباء - ياقوت الحموي (١-٢٠) - طبع مصر (١٩٣٦-١٩٣٨م).
- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد الأندلسي - تحقيق شوقي ضيف - دار المعارف بالقاهرة - ١٩٥٥م.
- نفح الطيب - المقري - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٦م.
- نور الكمائم وسجع الحمائم - ابن مغاور الشاطبي - تحقيق د. محمد شريفة - الرباط.
- نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء - أبو البركات بن الأنباري - تحقيق أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر - ١٩٦٧م - الطبعة الثانية.
- وفيات الأعيان - ابن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٦٨-١٩٧٢م.
- الوافي بالوفيات - الصفدي - (النشريّات الإسلامية) - (عدد من المحققين).
- الوزير المغربي أبو القاسم الحسين بن علي - دراسة د. إحسان عباس - دار الشروق للنشر - عمان - الطبعة الأولى ١٩٨٨م.

* * *